العلمي والتكنولوجي الحديث يجعل أداء هذه الواجبات المنزلية سهلاً لا يستغرق سوى وقت قصير.

فماذا تفعل المرأة بسائر وقتها إذن؟ يجب عليها أن تعمل وأن تحترف حرفة كي تواجه نكبات الدهر حين يموت زوجها أو يتخلى عنها. بل يجب عليها أن تعمل قبل الزواج أيضاً لتحقيق استقلالها الاقتصادي، حتى إذا ما اختارت زوجها اختارته عن حب وتقدير، وليس لأنه سوف يستطيع أن يعولها بحكم أنه عامل وأنها عاطلة.

وبالإضافة إلى هذا فإن العمل يجعل المرأة تحس بأن لها كرامتها الذاتية والاجتماعية، لأن العاطل ـ سواء كان رجلاً أم امرأة ـ يحز في نفسه الشعور بالاتكال على الآخرين في معيشته، ويقل احترامه لذاته. هذا فضلاً عما لاحظه «رفاعة الطهطاوي» من فساد أخلاق النساء المتعطلات، لأن «فراغ أيديهن من العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل، وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل»[56].

أما الدعوة التي يوجهها الحكيم إلى ا لمرأة بأن تكون «إلهة» في البيت تنتظر الرجل أن يقدم لها حصيلة جهاده ونضاله، فدعوة تقوم على أساس الجهل ببعض الحقائق التي أشرنا إليها، كما تقوم على أساس المغالطة، لأن الحكيم لا يقدم لها هذه الدعوة حباً فيها، وإنما حباً في الرجل ذاته، والحكيم نفسه يذكر هذا صراحة ـ كما رأينا ـ ويؤكد أنه لا ينظر إلى مصير النساء، بل يحشى على مصير الرجال إذا أصبح النساء يعملن مثل الرجال، واخشوشنت أيديهن «ففقدت سحرها الذي يدفع الرجال إلى الكفاح والنضال والعظمة»[57].

ومعنى هذا أن الحكيم يريد من المرأة أن تكون وسيلة وحسب، أي يريد منها أن تكون سلماً يرتقى إلى العظمة.

والحكيم هنا يثير قضية شاع الاعتقاد بها في كثير من أوساط المثقفين وغير المثقفين، ولذا فإنه يحس بنا أن نقف عندها قليلاً، وهي قضية «الأنوثة» التي يخشى الحكيم أن تفقدها المرأة العاملة.